الرواد الأوائل لعلم الإجتماع

عبد الرحمان بن خلدون
1332م-1406م

نسبه:

هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون، وذكر بن خلدون نسبه على هذا النسق وقال: "لا أذكر من نسبي إلى بن خلدون غير هؤلاء العشرة".

ميلاده ونشأته:

ولد ابن خلدون سنة 1332م في تونس، وتوفي سنة 1406م في مصر.

لأسرة من أصول أندلسية وكان لأسرته الكثير من النفوذ في إشبيلية ببلاد الأندلس، وقد هاجرت الأسرة مع بداية سقوط الأندلس في يد الأسبان إلى تونس وعاش ابن خلدون معظم حياته متنقلاً بين بلاد شمال أفريقيا، هذا بالإضافة لزياراته لأرض الحجاز.

كان بن خلدون سليل أسرة عريقة نابهة وبيت علم، فنشأ في مهد هذا التراث الذي تلقاه عن أسرته، كان أبوه معلمه الأول، قرأ القرآن وحفظه وتفقه في القراءات السبع، ودرس شيئا من التفسير والحديث والفقه، ودرس النحو واللغة.

ويذكر بن خلدون أسماء معلميه وأساتذته في كل علم وفن، ويذكر أيضا أسماء بعض الكتب التي درسها، ويبدو مما كتبه في ذلك أنه تخصص نوعا ما في درس الحديث والفقه المالكي وعلوم اللغة والشعر، ثم درس المنطق والفلسفة فيما بعد أثناء حياته العملية، وينوه، بن خلدون بتفوقه في درسها.

يعده المختصون أول واضع لعلم الاجتماع الحديث، سابقاً بذلك علماء الغرب، تمكن من تقديم عدد من النظريات الجديدة في كل من علمي الاجتماع والتاريخ، كان يهوى الإطلاع على الكتب والمجلدات التي تركها العلماء السابقين وذلك لكي تتكون لديه خلفية علمية يستطيع أن يستند عليها في أفكاره هذا بالإضافة لتمتعه بالطموح العالي والثقافة الواسعة.

من أعماله ومؤلفاته:

أتى "لسان الدين بن الخطيب 1313-1374م" وزير غرناطة الأندلس في كتابه "الإحاطة بأخبار غرناطة" على بعض مؤلفات بن خلدون فيذكر:

1-رسالة في المنطق.

2-شرح قصيدة البردة شرحا بديعا دل به على تفنن إدراكه وغزارة حفظه.

3-لخص كثيرا من كتب بن رشد.

4-لخص محصل الإمام فخر الدين الرازي،

5-ألف كتابا في الحساب.

6-ويضيف بن الخطيب قائلا: "وشرع هذه الأيام في شرح الرجز الصادر عني في أصول الفقه بشيء لا غاية فوقه في الكمال".

كما نجد كتبا أخرى:

7-رحلة ابن خلدون في المغرب والمشرق: وقام في هذا الكتاب بالتعرض للمراحل التي مر بها في حياته، حيث روى في هذا الكتاب فصولاً من حياته بجميع ما فيها من سلبيات وإيجابيات، ولم يضم الكتاب عن حياته الشخصية كثيراً ولكنه عرض بالتفصيل لمسيرته العلمية ورحلاته بين المشرق والمغرب، فكان يقوم بتدوين

مذكراته يوماً بيوم، فقدم في هذا الكتاب ترجمته ونسبه والتاريخ الخاص بأسلافه، كما تضمنت هذه المذكرات المراسلات والقصائد التي نظمها، وتنتهي هذه المذكرات قبل وفاته بعام واحد مما يؤكد مدى حرصه على تدوين جميع التفاصيل الدقيقة الخاصة به لأخر وقت.

8-كتاب: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" وقد رتب هذا الكتاب في مقدمة وثلاث كتب:

-المقدمة: في فضل التاريخ وتحقيق مذاهبه، والإلماع بمغالط المؤرخين.

-الكتاب الأول: في العمران.

-الكتاب الثاني: في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم.

-الكتاب الثالث: في أخبار البربر وأجيالهم.

موضوع علم الاجتماع:

تطرق لن خلدون للعديد من المواضيع في المقدمة، ونذكر من بينها مايلي:

- الحياة الإجتماعية وما يترتب عنها هي موضوع لعلم العمران البشري ويدخل ضمنها معيشة الناس وكيفية تحصيل أقواتهم وأسباب تنازعهم وعاداتهم وقوانينهم.
- المجتمع الإنساني ضروري لحياة الإنسان، والأفراد بحاجة إلى التعاون لسد الحاجيات الإقتصادية والدفاعية.
- العمران البدوي أصل للعمران الحضري ولكل منهما ألوان من العادات والسلوك وأنماط الحياة.
- لا يتم الإجتماع الإنساني ولا يرقى إلا بوجود الأعمال والحرف وهي سبب لرضا المجتمع ورفاهيته.
- للسلطة أهمية في الحفاظ على المجتمع وتنظيم شؤونه، ونشر العدل ودفع الظلم، وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع.
- للدولة والمجتمع أعمار كأعمار وتطورهم، حيث تبتدأ بالنشأة والتكوين فالنضج والكمال وتنتهي بالهرم والزوال.
- العصبية هي أساس الحكم وتؤدي إلى الغلبة والقوة.

منهج البحث وأدواته عند "بن خلدون":

وظف بن خلدون تقنيات ومناهج في دراسته وتحليله للظواهر التي تكلم عنها، لذلك كانت كتاباته علمية وأقرب للموضوعية، ونذكر منها مايلي:

1) القدرة العلمية والمعرفة بأحوال المجتمعات وقوانين الطبيعة والحياة وعللها والإحاطة بطبائع العمران.

2) الملاحظة:

إستعمل بن خلدون الملاحظة كأداة من حيث المشاهدة والمعايشة للوقائع والأحداث مما سمح له بوصفها وتفسيرها.

3) التحليل:

وهذا منهج بن خلدون في الوصول إلى الأسباب التي تكمن وراء حدوث الظواهر.

4) المقارنة:

إستعمل بن خدلون المقارنة في فصول كثيرة من مؤلفه مثال ذلك: -مقارنة العصبية عند أهل البادية وأهل الحضر. -مقارنة تأثير المناخ في طبائع الناس في العديد من المناطق. -مقارنة طرق التعليم في بلاد المغرب والمشرق.

5) الإستقراء:

إستعمل بن خلدون غالبا الإستقراء الناقص الذي تعتبر نتائجه غير يقينية، لكنها قريبة من اليقين. فكان في مؤلفه حريصا على عدم التعميم، إذ يستعمل لفظ "في الغالب" و"غالبا"، مثال ذلك قوله: "...وإن السعادة والكسب إنما يحصل غالبا لأهل الخضوع والتملق...".

6) **النقد والتمحيص: حيث أن بن خلدون لم يتقبل ما جاءه من أخبار كتبها المؤرخون من قبله، لكنه رأى أنهم لم يستعملوا مناهجا علمية وأنهم كانوا ذاتيين مما جعل كتاباتهم لا تقوم على أسس صحيحة.**

-النقد: نقد الأفكار التي يتلقاها من غيره أو التي يلاحظها بنفسه، لأن تقبل كل شيء يؤدي إلى تقرير قضايا قد تكون غير صحيحة.

-التمحيص: هو غربلة المسائل وفرز الصادق منها والكاذب، والحق والباطل، والممكن منها والمستحيل.